دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام دراسة دلالية

Imam Hussein's (pbuh) Dua Arafat : A Semantic Study

أ.م.د : خليل خلف بشير

قسم اللغة العربية -كلية الآداب – جامعة البصرة

By :

Assist .Prof. Dr. Khalil Khalef Basher

Department of Arabic , College of Arts , Basra University

ملخص البحث

شرعتُ في الكتابة في دعاء عرفة وعناصره الدلالية فضلاً عن الغرابة في بعض الألفاظ الواردة في الدعاء ،والحقول أو المجالات الدلالية التي ينبثق منها التقابل الدلالي بين الألفاظ والجمل والعبارات والصور وغير ذلك.

Abstract

The study deals with Dua Arafat , its semantic elements and the strange words that occur in the Dua .The study also tackles the semantic fields from which semantic correspondences between words , sentences , phrases and images , etc. . emerge .

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتديَ لولا أن هدانا الله ،والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين محمد الصادق الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين ،وبعد : فهذه دراسة دلالية في دعاء طويل وطريف من أدعية سيد الشهداء – الإمام الحسين عليه السلام – هو دعاء عرفة ،وقد مهّدت له بمدخل سمّيته : أهمية الدعاء عند أهل البيت (عليهم السلام) ثم شرعتُ في الكتابة في دعاء عرفة وعناصره الدلالية فضلاً عن الغرابة في بعض الألفاظ الواردة في الدعاء ،والحقول أو المجالات الدلالية التي ينبثق منها التقابل الدلالي بين الألفاظ والجمل والعبارات والصور وغير ذلك.

على أنني أعملتُ فكري ،وأجهدت نفسي لأضع هذا البحث بالمستوى المطلوب فإن وفقت فللّه حمدي وشكري وإن لم أوفق فاعتذاري لسيدي ومولاي الحسين (ع).

مدخل : أهمية الدعاء عند أهل البيت (ع)

تميّز تراث أهل البيت (عليهم السلام) تميّزاً فريداً بظاهرة الدعاء بالكم والكيف معاً منطلقين من قوله تعالى: (قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ) الفرقان/ ٧٧ ،والدعاء هو المظهر الذي ميّز أهل البيت عمن سواهم ،وقد ساروا على ذلك في تربيتهم لشيعتهم ، ويلمس المسلمون هذه الظاهرة في موسم الحج وشهر رمضان وغيرهما من مواسم العبادة عند أتباع أهل البيت وشيعتهم ،وقد تفردت أدعية أهل البيت في المحتوى والمقاصد والمعاني التي اشتملت عليها أدعيتهم فهي تفصح عن بون شاسع بينهم وبين غيرهم(١).

وقد عني الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) بالدعاء عناية بالغة ، ذلك لما يترتب عليه من آثار تعود لصالح الداعي في الدنيا والآخرة ، فهو من أنجع الوسائل وأعمقها في تهذيب النفوس ، وهو مفتاح الرحمة ونجاح الحاجة ، ولا يدرك ما عند الله تعالى إلاّ بالدعاء والابتهال، وهو من أحب الأعمال إلى الله تعالى ،وكذا مخ العبادة وجوهرها وأفضلها،وهو سلاح الأنبياء والمؤمنين ،ومفتاح الرحمة والنجاح والجنان والفلاح،وعمود الدين ،وشفاء من كل داء ،ودافع للبلاء ،وراد للقضاء(٢).

وبالرغم من كون أهل البيت (عليهم السلام)كلهم كانوا من أهل الدعاء ورواده إلا أن أكثرهم نتاجاً وعنايةً بالدعاء الإمام زين العابدين فهو يمثل قطب الرحى بينهم إذ ترك لنا تراثاً خالداً عُرِف بالصحيفة السجادية التي عُرفت بزبور آل محمد لكنهم جميعاً كان الدعاء حاضراً عندهم ،وبنحو يعكس لنا أرفع درجات الانغماس والذوبان في حب الله تعالى ،وقد أفرزوا لنا تلك العناية الاستثنائية بالدعاء ،وهذا ما نجده في كتبنا الحديثية إذ أفردوا تأليفاً خاصاً للدعاء مثل كتاب الدعاء للشيخ الكليني ،وكتاب الدعاء والمزار للشيخ الصدوق ، والإقبال للسيد ابن طاووس ،وكتاب مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي(٣).

ولعل حاجة أهل البيت (ع) للدعاء تكمن في أمرين هما (٤):

١ – إنّ أهل البيت يتحركون فطرياً باتجاه كمالاتهم المناسبة لهم،ولكونهم فقراء إلى الله تعالى فإنهم في حاجة مستمرة

إلى بارئهم.

٢- إنّ الحاجة إلى الدعاء لا تنحصر بجلب نفع أو بدفع ضرر أو بسد نقص ، وإنما يتعداه إلى أمر في غاية الأهمية وهو أداء شكر المنعم ؛لأنه تعالى يستحق منّا الحمد والشكر على عطاياه غير المنتهية دائماً وأبداً.

وللإمام الحسين مجموعة من الأدعية قام بجمعها الأستاذ محمدعلي علي دخيل في كتاب سمّاه أدعية الإمام الحسين (ع) أو الصحيفة الحسينية ،والمتأمل في هذه الأدعية يجدها دروساً عالية من الإلهيات ،وطريقاً رحباً في الانقطاع إلى المولى جلّ شأنه ، وعدم الاكتراث بسواه ،ويستلهم المسلم منها التوجه إلى الله تعالى في السراء والضراء ، واليسر والعسر ، وعند العافية والبلاء (٥).

دعاء عرفة وعناصره الدلالية :

دعاء مبسوط مشهور ، كان يدعو به سيد الشهداء (ع) في جبل عرفات على ملأ من الناس وقد حفظوه عنه ، وفيه بيان الحمد والثناء والشكر للحضرة الربوبية وتقرير المعارف الدينية الإلهية وذكر بديع صنع الله تعالى في مخلوقاته ، وقد شرحه العلماء مكررا : منها شرح السيد علي خان بن خلف الموسوم بـ(مظهر الغرائب) (٦) ،وعرفات موضع بالقرب من مكة المعظمة. يقف فيه الحجاج يوم التاسع من ذي الحجة. وقد اعتاد الإمام الحسين على قراءة دعاء عرفة يوم التاسع من ذي الحجة في صحراء عرفات ،ويجسد هذا الدعاء مناجاة أبي الأحرار وسيد الشهداء لمحبوبه ومعبوده الخالق الأحد،ويمتاز دعاء عرفة كغيره من أدعية الأئمة الأطهار بمفاهيمه العميقة السامية (٧)، ولشخصية الإمام الحسين(ع) أبعاد منها بعدان معروفان: الأول بعد الجهاد والشهادة والإعصار الذي أحدثه على مدى التاريخ وسيبقى هذا الإعصار على ما يتّسم به من بركات مدوياً على مدى الدهر أما البعد الآخر فهو بعد معنوي وعرفاني ويتجلّى هذا البعد في دعاء عرفة بشكل واضح وعجيب وقلّما يوجد دعاء يحمل هذه اللوعة والحرقة والانسياق المنتظم في التوسّل إلى الله والابتهال إليه بالفناء فيه(٨) ويعدّ من غرر أدعية الإمام الحسين (ع) المطولة ،وفيه تُستدرُّ الرحمة الإلهية بما تمليه على الإنسان من أسباب الإنابة والتوبة وشموخ المعرفة (٩)،وتضمن الدعاء دلالات متنوعة لافتة للنظر ،واحتشدت فيه عناصر إيقاعية وصورية ولفظية مدهشة ، (١٠) هي :

١- **العنصر الإيقاعي** : يعد الدعاء أكثر الأشكال التشريعية احتشاداً بأدوات الفن ولاسيما عنصر الإيقاع ،لما كان الدعاء شكلاً أُعدّ للتلاوة ،والتلاوة بطبيعتها تتطلب عنصراً إيقاعياً كالتجنيس والتقفية (السجع) لذلك تكون الأدعية مشحونة بالإيقاع بنحو لافت للنظر(١١) كما في قوله: ((الحمد لله الذي ليس لقضائه دافع ، ولا لعطائه مانع ، ولا لصنعه صنع صانع ، وهو الجواد الواسع ، فطر أجناس البدائع ، وأتقن بحكمته الصنائع ،لا يخفى عليه الطلائع ، ولا تضيع عنده الودائع .أتى بالكتاب الجامع ، وبشرع الإسلام النور الساطع ، وهو للخليفة صانع ،وهو المستهان على الفجائع ، جازى كل صانع ورائش كل قانع، وراحم كل ضارع، ومنزل المنافع ، والكتاب الجامع، بالنور الساطع وهو للدعوات سامع ، وللدرجات رافع، وللكربات دافع ، وللجبابرة قامع ،وراحم عبرة كل ضارع، ودافع ضرعة كل ضارع ، فلا إله غيره ، ولا شئ يعدله ، وليس كمثله شئ ، وهو السميع البصير ، اللطيف

الخبير ، وهو على كل شئ قدير))(١٢).

٢- **العنصر اللفظي** : وتشترك فيه جملة سمات تطبع الدعاء، ومنها : التكرار والتتابع والتقسيم بين العبارات مثال ذلك قول الإمام الحسين (ع) في الدعاء : ((أنت الذي أنعمت، أنت الذي أحسنت ، أنت الذي أجملت، أنت الذي أفضلت، أنت الذي مننت ، أنت الذي أكملت، أنت الذي رزقت ، أنت الذي أعطيت ، أنت الذي أغنيت، أنت الذي أقنيت ، أنت الذي آويت، أنت الذي كفيت . أنت الذي هديت ، أنت الذي عصمت ، أنت الذي سترت ، أنت الذي غفرت أنت الذي أقلت ، أنت الذي مكنت ، أنت الذي أعززت ، أنت الذي أعنت ، أنت الذي عضدت، أنت الذي أيدت ، أنت الذي نصرت ، أنت الذي شفيت، أنت الذي عافيت ، أنت الذي أكرمت، تباركت ربي وتعاليت ، فلك الحمد دائماً ، ولك الشكر واصباً))(١٤) فقد تمثل التكرار بعبارة (أنت الذي) ،والتتابع بـ (أنعمت ،أحسنت ،أجملت ، أفضلت، مننت، أكملت، رزقت ، أعطيت، أغنيت، أقنيت، آويت، كفيت . هديت، عصمت ، سترت ، غفرت . أقلت ،مكنت، أعززت، أعنت ، عضدت ، أيدت ، نصرت ، شفيت ، عافيت، أكرمت ، تباركت ... وتعاليت)،والتقسيم بترادف العبارات المسجوعة المتوازنة بالتقابل بين الله تعالى (أنت) وبين العبد (أنا) من حيث معطيات الله وتقصير العبد( ) فدلالة الضمير (أنا) المتكرر ثلاث عشرة مرة أفادت انجاز الاعتراف لتحقيق التوبة(١٥) فضلاً عن الجمالية المتحصلة من التقابل بين الله تعالى والعبد(١٦).

وكذا في قوله (ع) :((رب بما برأتني فعدلت فطرتي ، رب بما أنشأتني فأحسنت صورتي ، يا رب بما أحسنت بي وفي نفسي عافيتني ، رب بما كلأتني ووفقتني ، رب بما أنعمت عليّ فهديتني ، رب بما آويتني ومن كل خير آتيتني وأعطيتني ، رب بما أطعمتني وسقيتني ، رب بما أغنيتني وأقنيتني ، رب بما أعنتني وأعززتني ، ...))(١٧).

٣- **العنصر المعنوي** : للدعاء عموماً قيم سامية ومرموقة تفسّر الحضور الغيبي والكثيف في الدلالات والمعاني فهو لا يجسّد تجارب روحية خالصة فحسب بل يجسد حاجات الإنسان المتنوعة ومشاكله وآلامه وخوفه من عالم الآخرة في فعل روحي غني بالمعارف الإلهية الحقة (١٨) ،إذ يشكل الدعاء هنا بوصفه أحد أنماط القول فضاء طقسيا من فضاءات العرفان يعيش فيه العارف لحظات الطمأنينة الروحية والسكينة القلبية في خضم الوجود(١٩) ففي قوله :((لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من المستغفرين لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الموحدين لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الخائفين لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الوجلين لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الراجين لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الراغبين لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من المهللين لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من السائلين لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من المسبحين لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من المكبرين لا إله إلا أنت سبحانك ربي ورب آبائي الأولين ...))(٢٠) في هذا المقطع نجد الإمام يكرّر التسبيح وينوّع في التعبير فلم يقتصر على التعبير القرآني (الظالمين) ،وإنما نوّع في ذلك فذكر (المستغفرين،والموحدين ، والخائفين،والوجلين، والراجين ،والراغبين ،والمهللين،والسائلين ، والمسبحين، والمكبرين)،وفي هذا دلالة على أن الإمام الحسين (ع) في

دعاء عرفة ، قد قطع مراحل شهور المعرفة التي هي المعنى الباطن لهذه الآية ! وقال ليونس : أنت قلت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، وبقيت الكلمات الباقية لي فأنا أقولها !... إن كل واحدة من هذه الجمل بحر من المعرفة بلا قعر ، يغرق فيه جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ! فمن يستطيع أن يفهم أنه (عليه السلام)عندما قال : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الموحدين ، كيف قطع اثنتي عشرة مرحلة من التوحيد ، من مقامات توحيد الإلوهية إلى توحيد الربوبية ، حتى وصل إلى توحيد المحبة لربه ، فصار لسان حاله : تركت الخلق طراً في هواكا...))(٢١).

ولا يخفى الأثر القرآني في المقطع الأخير فقد استمده الإمام من قوله تعالى: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) الأنبياء / ٨٧ ،ويبدو أن البنية القرآنية للشطر الأخير من الآية اتخذت عاملاً لتوليد عدد من أسماء الفاعلين تمتد بها نحو معان أخرى تابعة للمعنى القرآني في الإقرار بالظلم بين يدي الباري عزّ وجل بعد نفي الإلوهية عن غيره وإثباتها له تعالى (٢٢).

الغريب في دعاء عرفة:

بالرغم من أن الموقف الذي وقفه الإمام الحسين (ع) يوم عرفة لا يحتمل انتقاء الألفاظ الدقيقة فقد كان الإمام دقيقاً في انتقائه لألفاظه ووظفها توظيفاً دقيقاً أيضاً مع غرابة بعض الألفاظ ،وهي موهبة منحها الله للإمام وأبيه وجده وأبنائه ؛لأن صياغة النصوص الفصيحة لا يستطيعها كل إنسان إلّا من أوتي الفصاحة والبلاغة (٢٣) كما في قوله :((... فأنا أشهد يا إلهي بحقيقة إيماني وعقد عزمات يقيني وخالص صريح توحيدي وباطن مكنون ضميري وعلائق مجاري نور بصري وأسارير صفحة جبيني وخرق مسارب نفسي وخذاريف مارن عرنيني ومسارب سماخ سمعي وما ضمت وأطبقت عليه شفتاي وحركات لفظ لساني ومغرز حنك فمي وفكي ومنابت أضراسي ومساغ مطعمي ومشربي وحمالة أم رأسي وبلوغ فارغ حبائل عنقي وما اشتمل عليه تامور صدري وحمائل حبل وتيني ونياط حجاب قلبي ...))(٢٤).

فمن الألفاظ الغريبة في هذا المقطع من دعاء عرفة :

١- مسارب : وهي جمع مسرب ،يقال :هذه مسارب الحيات : لمواضع آثارها إذا انسابت في الأرض على بطونها(٢٥) .

٢- خذاريف واحدها خذروف وهي كل شيء منتشر من شيء ،ويقال : تركت السيوف رأسه خذاريف أي قطعاً(٢٦)، وهو المعنى الأنسب للسياق.

٣- والمارن من الأنف : ما لان منه (٢٧) .

٤- تامور وتعني ((الصومعة ، والوعاء ،وعرين الأسد ،ووزير الملك ،والنفس ،والقلب)) (٢٨) ،ولعل الأنسب للسياق الوعاء.

ومن دقيق اختياره للألفاظ قوله : ((ماذا وجد من فقدك، وماذا فقد من وجدك ؟)).وهي مقابلة بديعة ورائعة فالذي يجد الله – سبحانه – يجد كل شيء ، لأنه سيجد نفسه فيثبت شخصيته ويكرس ذاته واستقلاله ، ومن يكرس ذاته واستقلاله فإنه سيكون في غنى عن أي شيء آخر ،والذي لا يعرف ربه ولا يجده من خلال الإيمان فإن قلبه سيبقى خاوياً فارغاً مليئاً بالتوتر ،وإن أعطيته الدنيا وما فيها ، ولعل في الحياة شواهد كثيرة تبرهن صدق هذه

الحقيقة .والإنسان الذي لا يريد بلوغ الحقيقة العظمى ، ولا يريد لقلبه برد اليقين والطمأنينة ، ويصر على ضلاله وغيه ، فإنما هو نموذج للإنسان المغرور الذي خاطبه الله تعالى قائلا : (يَآ أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ) الانفِطَار/ ٦-٧. إذ إن ابن آدم لابد من أن يبحث عن ربه – من حيث يدري أو لا يدري ؛ فمرة يهتدي ، وتستقر روحه وتطمئن نفسه ويستريح قلبه المتعب، ومرة يخطئ الطريق فيضل ، وقد يهتدي من بعد ذلك إن أبصر النور وفتح قلبه للهداية ، وقد يصر على الضلالة فيزداد تيها وخسراناً(٢٩).

وفي قوله :((إلهي أنا الفقير في غناي ، فكيف لا أكون فقيرا في فقري ، إلهي أنا الجاهل في علمي فكيف لا أكون جهولا في جهلي ، إلهي إن اختلاف تدبيرك ، وسرعة طواء مقاديرك منعا عبادك العارفين بك عن السكون إلى عطاء واليأس منك في بلاء ، إلهي مني ما يليق بلومي ، ومنك ما يليق بكرمك ، إلهي وصفت نفسك باللطف والرأفة لي قبل وجود ضعفي أفتمنعني منهما بعد وجود ضعفي، إلهي إن ظهرت المحاسن مني فبفضلك ، ولك المنة علي ، وإن ظهرت المساوي مني فبعدلك ، ولك الحجة علي))(٣٠).

المجالات (الحقول) الدلالية :

يعرف الحقل الدلالي بأنه مجموعة من الكلمات ترتبط دلالالتها ،وتوضع بمادة تحت لفظ عام يجمعها في دلالة مشتركة وفق علاقات لسانية محددة(٣١) والحقول الدلالية من أفكار علم الدلالة الحديث فهي النظريات الرئيسة والمهمة في علم الدلالة الحديث (٣٢).

والحقول الدلالية ليست بمعزل عن بعضها ولكنها تترابط مع بعضها وتنضم لتشكل حقولاً جديدة أكبر على شكل نظام أعلى حتى تحصر جميع ألفاظ اللغة تحت تلك الحقول، وتبعاً لهذا فإنه يمكن أن يخصص حقل للمِهَن والوظائف، وحقل للإبداعات، وحقل للرياضة وحقل للتعلم... الخ ثم يجمعها حقل لغوي أكبر يشملها كلها هو حقل النشاطات أو الفعاليات الإنسانية(٣٣).

وفي دعاء عرفة تتجانس الألفاظ ويصطف بعضها مع بعض ،وكأن ناظمها قد صنّف الألفاظ في مجالات دلالية حتى أنك تستطيع أن تضع في كل مجال مجموعة الألفاظ المتقاربة في دلالتها ،وتجد الروابط بينها واضحة جلية ،وهناك أكثر من مقطع يتضح فيه ذلك فمثلاً في قوله (ع): ((... يا من دعوته مريضا فشفاني ،وعريانا فكساني، وجائعا فأشبعني ،وعطشاناً فأرواني ،وذليلا فأعزني، وجاهلا فعرفني ،ووحيدا فكثرني ،وغائبا فردني ،ومقلا فأغناني ،ومُنْتَصَرا فنصرني، ...))(٣٤) ،ولو أردنا وضع الألفاظ في مجالات أو حقول لقلنا:

– مريضاً ،عرياناً ،جائعاً ،عطشاناً ،ذليلاً ،جاهلاً ،وحيداً، غائباً ،مقلاً ،مُنْتَصَراً .

– شفاني ،كساني،أشبعني ،أرواني ،أعزني ،عرفني ،كثّرني، ردّني، أغناني ،نصرني .

ولعلنا نجد العلاقة الوثيقة التي بين العبارات من خلال حرف الربط الفاء ،وعلاقة التضاد الكائنة بين الاسم المنصوب والفعل :

– مريضا فشفاني .

– عريانا فكساني .

– جائعا فأشبعني

– عطشاناً فأرواني .

- ذليلا فأعزني .
- جاهلا فعرفني .
- وحيدا فكثرني .
- غائبا فردني .
- مقلا فأغناني .
- مُنْتصَرا فنصرني .

فثمّ تضاد بين المرض والشفاء،والعري والكسوة ،والجوع والشبع ،والعطش والرواء ، والذل والعزة ،والجهل والمعرفة ،والوحدة والكثرة ،والغياب والرد ،والقلة والغنى ،وعدم الانتصار والنصرة.وهذه العلاقة تضمها علاقة أكبر بين الخالق والمخلوق فالخالق وحده الذي يشفي المريض ،ويكسو العاري ،ويشبع الجائع ،ويروي العطشان ،ويعز الذليل ،ويعرّف الجاهل ، ويكثر الوحيد ،ويرد الغائب ،ويغني المقل ،وينصر المظلوم (المُنْتَصَر).

وإذا دققنا النظر في الأسماء المنصوبة لوجدناها متقاربة في المعنى من حيث كونها مفتقرة إلى شيء فالمريض مفتقر إلى الشفاء ،والعاري مفتقر إلى الكسوة، والجائع مفتقر إلى الشبع ،والذليل مفتقر إلى العزة، والجاهل مفتقر إلى المعرفة، والوحيد مفتقر إلى الكثرة، والغائب مفتقر إلى العودة ،والمقل مفتقر إلى الغنى ،والمظلوم مفتقر إلى النصرة.وبالعكس من ذلك الأفعال فهي غير مفتقرة إلى شيء فهي أيضاً متقاربة في المعنى.

ومثله قوله: ((اللهم ما أخاف فاكفني ، وما أحذر فقني ، وفى نفسي وديني فاحرسني ، وفي سفري فاحفظني ، وفى أهلي ومالي وولدي فاخلفني ، وفيما رزقتني فبارك لي ، وفي نفسي فذللني ، وفى أعين الناس فعظمني ، ومن شر الجن والإنس فسلمني ، وبذنوبي فلا تفضحني ، وبسريرتي فلا تخزني ، وبعملي فلا تبتلني ، ونعمك فلا تسلبني والى غيرك فلا تكلني)) (٣٥) ففي هذا المقطع يهيمن نمطان من أساليب الدعاء : الأول فعل الأمر الخارج مجازاً إلى الدعاء ،والثاني : الفعل المضارع المسبوق بلا الناهية الخارج مجازاً إلى الدعاء إذ يمكن أن نقسم النمط الأول على مجالين :

- ما أخاف ، ما أحذر ، في نفسي وديني ،في سفري ،في أهلي ومالي وولدي ،في ما رزقتني ،في نفسي ،في أعين الناس ،من شر الجن والإنس .
- اكفني ،قني ،احرسني ،احفظني ،اخلفني ،باركْ ،ذلّلني ،عظّمني ،سلّمني .

وكذا النمط الثاني يكون في مجالين :

- بذنوبي ،بسريرتي ،بعملي ،نعمك ،إلى غيرك .
- لا تفضحني ،لا تخزني ،لا تبتلني ،لا تسلبني ،لا تكلني .

والملاحظ أن المجالين في النمطين متقاربان في معاني الألفاظ فكل منهما مرتبط بالآخر بعلاقات دلالية ونحوية فضلاً عن دور السياق في تكوين الدلالة.

التقابل الدلالي :

يعدّ التقابل أو التضاد أو التشاكل أو التزاوج أو الثنائيات أو التباين (٣٦) من أهم الحقول الدلالية في علم الدلالة، لأن مباحث علم الدلالة تنصب على قضية المعنى، فالدلالة في أشهر تعريف لها علم دراسة المعنى(٣٧) .

والتقابل اسمٌ أُخذ من مادة ثلاثية هي (قبل) وإن تنوعت معانيه التي اشتقت من هذا الجذر ، يقول الخليل: ((القبلِ: من إقبالك على الشيء ، تقول : قد أقبلت قبلك، كأنك لا تريد غيره،.... وفي معنى آخر هو التلقاء . تقول : لقِيتُهُ قِبَلاً أي مواجهةً...))(٣٨) ويتسع المعنى عند اللغويين

ليأخذ معنى المواجهة بشكل مطلق يقول ابن منظور: ((المقابلة : المواجهة ، والتقابل مثله . وهو قبالك وقبالتك أي اتجاهك))(٣٩) ،ويرد التقابل بمعنى آخر يشير إليه ابن منظور: ((قابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالاً: عارضه))(٤٠).

وهذا ما أشار إليه صاحب القاموس : ((وقَبَل على الشيء وأقبلَ : لَزِمَهُ وأخَذَ فيه . أقْبَلْتُه الشيء : جَعَلْتُه يلي قُبالَتَه . وقابَلَهُ : واجَهَه ، وقابل الكتابَ : عارَضه))(٤١).

والتقابل بهذه المعاني يوضح اختلاف العلماء من اهل اللغة والبلاغة ، والمنطق في تحديد مفهومه تحت عدد من المسميات : "كالمطابقة والتضاد ، والمخالفة ، والتكافؤ، والتناقض، والمماثلة"(٤٢) .

ولم يقف الباحثون في التقابل اللغوي عند دراسة تعريفه فحسب بل ذكروا له أنواعاً متعددة منها : التقابل الدلالي بين الأفعال ،التقابل الدلالي بين الأسماء ،والتقابل الدلالي بين الجمل ،والتقابل الاصطلاحي ،وتقابل الصورة ،وتقابل الحذف ،وغيرها(٤٣).

ويمكن تلمس أمثلة بعض هذه الأنواع في دعاء عرفة بالآتي :

١- التقابل الدلالي بين الأفعال : في قوله ((اللهم ما أخاف فاكفني ، وما أحذر فقني ، وفى نفسي وديني فاحرسني ، وفي سفري فاحفظني ، وفى أهلي ومالي وولدي فاخلفني ، وفيما رزقتني فبارك لي ، وفي نفسي فذللني ، وفى أعين الناس فعظمني ، ومن شر الجن والإنس فسلمني ، وبذنوبي فلا تفضحني ، وبسريرتي فلا تخزني ، وبعملي فلا تبتلني ، ونعمك فلا تسلبني وإلى غيرك فلا تكلني))(٤٤).

وكذا قوله (ع) :((رب بما برأتني فعدلت فطرتي ، رب بما أنشأتني فأحسنت صورتي ، يا رب بما أحسنت بي وفي نفسي عافيتني ، رب بما كلأتني ووفقتني ، رب بما أنعمت عليّ فهديتني ، رب بما آويتني ومن كل خير آتيتني وأعطيتني ، رب بما أطعمتني وسقيتني ، رب بما أغنيتني وأقنيتني ، رب بما أعنتني وأعززتني ، ...))(٤٥).

وكذا قوله ((...اللهم ما أخاف فاكفني ، وما أحذر فقني ، وفى نفسي وديني فاحرسني ، وفي سفري فاحفظني ، وفى أهلي ومالي وولدي فاخلفني ، وفيما رزقتني فبارك لي ، وفي نفسي فذللني ، وفى أعين الناس فعظمني ، ومن شر الجن والإنس فسلمني ، وبذنوبي فلا تفضحني ، وبسريرتي فلا تخزني ، وبعملي فلا تبتلني ، ونعمك فلا تسلبني وإلى غيرك فلا تكلني)) .

٢- التقابل بين الأسماء : كما في قوله (ع) : ((إلهي أنا الفقير في غناي ، فكيف لا أكون فقيرا في فقري ، إلهي أنا الجاهل في علمي فكيف لا أكون جهولا في جهلي ، إلهي إن اختلاف تدبيرك ،...))(٤٦).

٣- التقابل بين الأسماء والأفعال : وذلك في قوله (ع): ((... يا من دعوته مريضا فشفاني ،وعريانا فكساني ،وجائعا فأشبعني ،وعطشاناً فأرواني ،وذليلا فأعزني ،وجاهلا فعرفني ،ووحيدا فكثرني ،وغائبا فردني ،ومقلا فأغناني ،ومُنْتصَرا فنصرني، ...))(٤٧) .

نتائج البحث :

اشتملت أدعية الإمام الحسين(عليه السلام) على معارف كثيرة وقضايا متعددة في التوحيد والعرفان

والتوكل، والأخلاق والسلوك، ومنها دعاء من الأدعية المطولة والطيبة وفيه تُستدرُّ الرحمة الإلهية بما تمليه على الإنسان من أسباب الإنابة والتوبة وشموخ المعرفة ،وتضمن الدعاء دلالات متنوعة لافتة للنظر ذات أبعاد توحيدية وأخلاقية ووعظية – إرشادية واجتماعية ،واحتشدت فيه عناصر إيقاعية وصورية ولفظية مدهشة تجسدت في الإيقاع واللفظ والمعنى فكان الإيقاع متوازناً غير متكلف واللفظ مكرراً متتابعاً متقابلاً دلالياً ،والمعنى متحصلاً عموماً بقيم سامية ومرموقة تفسّر الحضور الغيبي والكثيف الدلالات والمعاني فهو لا يجسّد تجارب روحية خالصة فحسب بل يجسد حاجات الإنسان المتنوعة ومشاكله وآلامه وخوفه من عالم الآخرة.

الهوامش

١. ينظر :أعلام الهداية / لجنة التأليف في المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)٥/ ٢٣١.

٢. ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها.

٣. ينظر : الدعاء – إشراقاته ومعطياته / السيد كمال الحيدري ٨١-٨٢.

٤. ينظر : المصدر نفسه ٨٣.

٥. ينظر : أدعية الإمام الحسين (ع) – الصحيفة الحسينية/ محمدعلي علي دخيل ٢٧-٢٨.

٦. ينظر : الذريعة / آغا بزرك الطهراني ٨/ ١٩٣.

٧. ينظر : مكانة المرأة في فكر الإمام الخميني ، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني ،هامش ٢٦،ص١٦.

٨. ينظر : الثورة الحسينية خصائص ومرتكزات / السيد علي الخامنئي ٦٤.

٩. ينظر : أعلام الهداية ٢٣٤.

١٠. ينظر : أدب الشريعة الإسلامية / د.محمود البستاني٢٣١.

١١. ينظر :الإسلام والفن / د.محمود البستاني ١٧٥،والبلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي / د.محمود البستاني ١٥١.

١٢. إقبال الأعمال / السيد ابن طاووس ٣/ ٧٤.

١٣. إقبال الأعمال ٢/ ٨٢.

١٤. ينظر : أدب الشريعة الإسلامية ٢٣٤.

١٥. ينظر : البناء الأسلوبي في أدعية الأئمة المعصومين ،رسالة ماجستير ، أحمد محمود أحمد ،كلية الآداب ،جامعة البصرة، ٢٠١٠،ص ١٥٩.

١٦. ينظر : مختصر تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي ،د.محمود البستاني ١٤٠.

١٧. بحار الأنوار / المجلسي ٩٥/ ٢١٩.

١٨. ينظر : عقيدة الدعاء وأبعادها المكنونة – دعاء الجوشن الصغير للإمام الكاظم مثالاً ،د.زينب كامل كريم الويسي ، جامعة بغداد ،مركز إحياء التراث العلمي العربي ،وقائع المؤتمر السنوي الثالث الدولي للعتبة الكاظمية المقدسة ،١/ ٧٥٥.

١٩. ينظر : البعد الروحي للتصوير العرفاني في كلمات الإمام الكاظم (ع) ،د.علي مجيد البديري ،وقائع المؤتمر السنوي الثالث الدولي .العتبة الكاظمية المقدسة،١/ ٥٣٣ ،٣/ ٣٨٧.

٢٠. البلد الأمين والدرع الحصين / الشيخ إبراهيم الكفعمي٢٥٦.

٢١. الحق المبين في معرفة المعصومين (ع) / الشيخ علي الكوراني العاملي ٣٨١.

٢٢. ينظر : القرآنية في دعاء الإمام الحسين (ع) في عرفة ،بحث ،م.م سناء علي حسين الحمداني ،كلية التربية ،جامعة كربلاء، مجلة أهل البيت ، ع٩ ،ص ٢٦٨.

٢٣. قراءة لغوية ونقدية في الصحيفة السجادية / أ.د.كريم حسين ناصح الخالدي ،وأ.د.حميدة صالح البلداوي ١١١.

٢٤. البلد الأمين والدرع الحصين ٢٥٢.

٢٥. المعجم الوسيط / مجموعة من المؤلفين ،مادة (سرب)، ٤٢٥.

٢٦. المعجم الوسيط ،مادة (خذرف)،٢٢٢.

٢٧. المصدر نفسه ،مادة (مرن)،٨٦٥.

٢٨. المصدر نفسه ،مادة أمر ،٢٠.

٢٩. ينظر : التوحيد صبغة الحياة / آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي ١/ ٣،٥٨.

٣٠. بحار الأنوار ٩٥/ ٢٢٥.

٣١. ينظر : علم الدلالة / أحمد مختار عمر ٧٩ ،والحقول الدلالية في شعر السيد هلال بن بدر البوسعيدي/ تقية بنت محمد بن راشد العبري ٢٩-٣٠.

٣٢. ينظر : مصطلحات الدلالة العربية / د.جاسم محمد العبود ٢١٩.

٣٣. ينظر : نظرية الحقول الدلالية في كتاب المخصص لابن سيده ،رسالة ماجستير ،للباحث رازق جعفر عبد الحسين الزيرجاوي ،كلية الآداب ،الجامعة المستنصرية ،٢٠٠٢م ،ص١٠٧.

٣٤. البلد الأمين والدرع الحصين ٢٥٥.

٣٥. إقبال الأعمال ٢/ ٧٩.

٣٦. ينظر : الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ١٥٠ ، ينظر : أنوار الربيع في أنواع البديع/ ابن معصوم المدني ، ٢/ ٣٢ ، وعلم الدلالة التطبيقي في التراث العربي / د .هادي نهر ٥٣٨-٥٥٢

٣٧. ينظر : علم الدلالة / أحمد مختار عمر : ٢٠

٣٨. العين مادة (قبل) ٥/ ١٦٦.

٣٩. لسان العرب ابن منظور ، مادة (قبل) : ١١/ ٥٤٠

٤٠. المصدر نفسه ، المكان نفسه.

٤١. القاموس المحيط / الفيروز آبادي ، ٤/ ٣٣

٤٢. ينظر : التقابل الدلالي في الصحيفة السجادية ،حوراء غازي عناد السلامي ،كلية التربية للبنات ،جامعة الكوفة ،رسالة ماجستير ،٢٠١٠م ،ص٢٣.

٤٣. ينظر : مصطلحات الدلالة العربية ٢٣٣-٢٣٤.

٤٤. إقبال الأعمال ٢/ ٧٩.

٤٥. بحار الأنوار / المجلسي ٩٥/ ٢١٩.

٤٦. بحار الأنوار ٩٥/ ٢٢٥.

٤٧. البلد الأمين والدرع الحصين ٢٥٥.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أدب الشريعة الإسلامية – دراسة جديدة في بلاغة نصوص القرآن الكريم ونصوص الأربعة عشر معصوماً،د.محمود البستاني ،ط١ ،مؤسسة السبطين العالمية ،مط: محمد ،١٤٢٤ه.ق- ١٣٨٢ه.ش.
- أدعية الإمام الحسين (ع) أو الصحيفة الحسينية، محمدعلي محمد دخيل،ط٢، دار المرتضى ، بيروت ،١٤٢٥ه-٢٠٠٤م.
- الإسلام والفن ،د.محمود البستاني ،ط١ ،بيروت، لبنان ،١٤١٣ه- ١٩٩٢م.
- أعلام الهداية ، لجنة التأليف في المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)،ط٥، المجمع العالمي لأهل البيت،مط : مجاب ،١٤٣٠ه.
- إقبال الأعمال ،السيد ابن طاووس ،تح/ جواد القيومي الاصفهاني ،ط١ ، المطبعة : مكتب الإعلام الإسلامي ، ربيع الأول ،١٤١٥هـ .
- أنوار الربيع في أنواع البديع ، علي صدر الدين بن معصوم المدني ، تح/ شاكر هادي شكر ، ط١ ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف- ١٩٦٨م.
- بحار الأنوار العلامة المجلسي ،تح / السيد إبراهيم الميانجي ، محمد الباقر البهبودي،ط٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،لبنان ، ١٤٠٣ - ١٩٨٣م.
- البعد الروحي للتصوير العرفاني في كلمات الإمام الكاظم (ع) ،د.علي مجيد البديري ،وقائع المؤتمر السنوي الثالث الدولي .العتبة الكاظمية المقدسة،ج١،وج٣ ،١٤٣٤ه-٢٠١٣م.
- البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي ،د.محمود البستاني ،ط١ ،دار الفقه للطباعة والنشر ،مط: سليمان زادة ،١٤٢٤ه.ق- ١٣٨٢ه.ش.
- البناء الأسلوبي في أدعية الأئمة المعصومين ،رسالة ماجستير ، أحمد محمود أحمد ، كلية الآداب ،جامعة البصرة، ٢٠١٠.
- التقابل الدلالي في الصحيفة السجادية ،حوراء غازي عناد السلامي ،كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة ،رسالة ماجستير ،٢٠١٠م.
- التوحيد صبغة الحياة ، آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي ،دار نشر المدرسي ،(د.ت).
- الثورة الحسينية خصائص ومرتكزات ، الإمام الخامنئي ،إعداد : معهد سيد الشهداء ،ط١ ،نيسان ٢٠٠١م -١٤٢٢ه.
- الحق المبين في معرفة المعصومين (ع)، الشيخ علي الكوراني العاملي،ط٢ ، دار الهادي – للطباعة والنشر، ١٤٢٣ه- ٢٠٠٣م.
- الحقول الدلالية في شعر السيد هلال بن بدر البوسعيدي/ تقية بنت محمد بن راشد العبري ،ط١، النادي الثقافي ،البرنامج الوطني لدعم الكتاب، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، لبنان ،٢٠١٢م.
- الدعاء – إشراقاته ومعطياته ،السيد كمال الحيدري، ط١،مركز أبحاث الحج ،دار مشعر ،مط : مشعر، ١٤٣٣ه.ق.

الذريعة، آغا بزرگ الطهراني،ط٢ ، دار الأضواء ، بيروت ، لبنان، (د.ت).
عقيدة الدعاء وأبعادها المكنونة – دعاء الجوشن الصغير للإمام الكاظم مثالاً ،د.زينب كامل كريم الويسي ، جامعة بغداد ،مركز إحياء التراث العلمي العربي ،وقائع المؤتمر السنوي الثالث الدولي للعتبة الكاظمية المقدسة، ١٤٣٤ه-٢٠١٣م.
علم الدلالة ، أحمد مختار عمر ،ط١ ، مكتبة دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٢م.
الفروق في اللغة ،أبو هلال العسكري ، ط٢ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٧٧م.
فلسفة الابتلاء ،الشيخ حافظ حداد ،ط٢،مركز أمير المؤمنين (ع) ،١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
القاموس المحيط : للعلامة محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزآبادي ت(٨١٧)هـ ، ط٥ ، المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها : مصطفى محمد وأولاده ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .
قراءة لغوية ونقدية في الصحيفة السجادية ،أ.د.كريم حسين ناصح الخالدي ، وأ.د.حميدة صالح البلداوي ،ط١ ،دار صفاء للنشر والتوزيع ،عمان ٢٠١٠م-١٤٣١ه.
القرآنية في دعاء الإمام الحسين (ع) في عرفة، بحث م.م سناء علي حسين الحمداني ،كلية التربية ،جامعة كربلاء، مجلة أهل البيت ، ع ٩ .
لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م.
مختصر تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، د.محمود البستاني ،تهران ،١٣٨١ ه-ش.
مصطلحات علم الدلالة – دراسة في ضوء علم اللغة الحديث ،د.جاسم محمد عبد العبود، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،٢٠٠٧م.
المعجم الوسيط،(إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر،ومحمد علي النجار)، ط٢، مكتبة المرتضوي،مط:باقري،١٤٢٧هـ.ق -١٣٨٥هـ .ش.
مكانة المرأة في فكر الإمام الخميني (رض) ،مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، قسم الشؤون الدولية ،ط٢ ،١٤٢٤ه-٢٠٠٣م.
منهج الدعاء عند أهل البيت ونماذج منه، صباح علي البياتي ،ط١،المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت (ع) ،مطبعة ليلى ،١٤٢٧هـ .
نظرية الحقول الدلالية في كتاب المخصص لابن سيده ،رسالة ماجستير ، رازق جعفر عبد الحسين الزيرجاوي ،كلية الآداب ،الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٢م.